

الكتابة والتعليم في بلاد الرافدين

د. عيسد مرعي

الكتابة^(١) هي أم الخطباء وأب المعلمين ،
الكتابة رائعة لا يرتوي الإنسان منها ،
الكتابة ليست سهلة التعلم ، ولكن من يتعلمها لا يحتاج الى أن يبقى قلقاً طويلاً
من أجلها .

كافح من أجل الكتابة فانها ستجلب لك الفائدة ،
كن مجداً في الكتابة وستعطيك الفنى والخير ،
لا تكن مهملًا للكتابة ، لا تغفل عنها ،
الكتابة هي « بيت الفنى » وسر أمانكى^(٢) ،
اعمل بلا انقطاع على الكتابة وسوف تكشف لك عن أسرارها ،
لا تهملها وسوف تجعل الحقود يتحدث عنك .
الكتابة قدّر جيد وغنىٌ وخير ،
منذ أن كنت طفلاً سببت لك المتاعب ، منذ بلوغك عمر الرجال ...
الكتابة هي صلة كل ... الحكيم ...
اعمل بجِد من أجلها .. وسوف .. ازدهارها الجميل ،
كي تحصل على معرفة متفوقة في اللغة السومرية وتتعلم (لهجة) إيميسال^(٣) ،
كي تكتب النصب وتقيس الحقول وتعمل حسابات .. ،
ليكن الكاتب عبداً (عبد الكتابة) ، يدعو الى أعمال السخرة ...^(٤).

يظهر لنا هذا النص الأكادي - السومري (مزدوج اللغة) - المكتشفة عدة
نسخ منه - المكانة الهامة التي كانت للكتابة ، وبالتالي الكتاب ، في بلاد الرافدين ،
والاهمية الكبيرة التي كان يعلقها الانسان الرافدي على تعلم الكتابة واتقانها . ولا ريب

دراسات تاريخية ، العددان ٤١ و ٤٢ ، اذار - حزيران ١٩٩٢ .

في ان اختراع الكتابة يعد حدثا بارزا في تاريخ البشرية انتقل الانسان بعده الى العصور التاريخية بعد عصور طويلة تعرف بعصور ما قبل التاريخ أو ما قبل الكتابة ، لان الانسان لم يكن يعرف خلالها وسيلة للتدوين (٥) .

كان المسرح الاول الذي حدث عليه هذا التحول الكبير في حياة الانسانية بلاد الرافدين حيث عثر في مناطق عديدة منها ، وفي مناطق مجاورة ، على شواهد أولى محاولات الانسان الكتابية . وتظهر تلك الشواهد ، التي تمثل المراحل الاولى للكتابة ، على ألواح طينية صغيرة كتبت عليها أرقام فقط ، وتحمل أحيانا طبعات اختام . وقد وجدت تلك الشواهد في أوروك ونيوى في العراق ، وفي سوسة Susa وخوجة ميش Choga Mish وغوداين تپه Godin Tepe في غرب ايران ، وفي تل براك وحوبة كبيرة في شمال سورية . ومعظم هذه الشواهد يمكن أن تؤرخ في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد (٦) .

واللوحان التصويريان المكتشفان في تل براك عام ١٩٨٤ أهمية خاصة بين الشواهد المذكورة . وهما لوحان صغيران من الطين غير المشوي متشابهان في الشكل يحملان آثار بصمات أصابع ، وقد رسم على كل منهما منظر جانبي لحيوان ، يمثل الاول رأسا من الماعز والثاني ربما رأسا من الفهم ، وكتب الى جانب كل منهما الرقم عشرة (٧) . وهما يتميزان عن ألواح أوروك (الوركاء حاليا) المكتشفة في الطبقة الرابعة ب ، التي تمثل المرحلة الاولى من مراحل تطور الكتابة المسمارية ، انهما يظهران صورة الحيوان كاملا ، بينما تظهر أقدم ألواح أوروك رأس الحيوان فقط . وبالتالي يمكن عددهما أقدم من ألواح أوروك (٨) .

مراحل تطور الكتابة المسمارية :

سميت الكتابة التي ساد استخدامها في بلاد الرافدين وفي مناطق أخرى من الشرق الأدنى القديم - ما بين الألف الثالث ومنتصف الألف الاول قبل الميلاد - بالكتابة المسمارية أو الكتابة الاسفينية Cuneiform ، لان شكلها يشبه المسامير أو الاسافين . وهذه تسمية حديثة مأخوذة من اللاتينية Cuneus : اسفين ، و Form : شكل . أما التسمية القديمة لهذه الكتابة فهي غير معروفة .

وقد مرت هذه الكتابة بمراحل تطويرية عديدة نذكرها فيما يلي باختصار (٩) :

١ - المرحلة التصويرية (Pictography) :

وهي أقدم مراحل الكتابة على الإطلاق ، يرسم الكاتب فيها صورة الشيء أو جزء من الشيء المراد التعبير عنه . ففي هذه الحالة كانت الصورة أو جزء منها تمثل كلمة ، فصورة الحراث تعني محراثا ، وصورة اليد تعني يدا ، وصورة السمكة تعني سمكة ،

وصورة السنبلة تعني شعيرا ، ورأس الثور يعني ثورا ، ورأس الانسان يعني انسانا ، والتقاطع يعني طريقا أو قافلة أو حملة عسكرية ، وثلاث تلال تعني جبلا أو بلادا جبلية أو بلادا أجنبية ، وصورة الشمس تعني الشمس .

هذه المرحلة تمثلها النصوص المكتشفة في أوروك - الطبقة الرابعة ب ، والبالغ عددها أكثر من ألف لوح ، يرقى تاريخها الى نحو ٣٣٠٠ ق.م . وهي في معظمها نصوص اقتصادية وإدارية قصيرة تتعلق بحسابات وإردات المعابد ، لأن المعبد في سومر كان في تلك الفترة مركزا للنشاط السياسي والاقتصادي والاجتماعي بناء على ذلك يمكن القول أن الدافع الاقتصادي كان وراء اختراع وتطوير الكتابة المسمارية ، وربما لعب كهنة المعابد دورا كبيرا في ذلك .

كذلك عُثر في الطبقة الثالثة من أوروك ، وفي جمدة نصر الواقعة الى الشمال منها ، على نصوص تصويرية أخرى يرقى تاريخها الى الفترة ما بين ٣٢٠٠ - ٢٩٠٠ ق.م (١٠) . وهي أحدث من نصوص أوروك الطبقة الرابعة ب ، وتتميز عنها أنها نصوص نصف تصويرية ، أي أنها أكثر اختزالا للصورة منها .

٢ - المرحلة الرمزية (Idiogram / Logogram) :

وقد تطورت فيها الصورة الى رموز أو اشارات مسمارية لا تعبر فقط عن المعاني الأصلية للصور المرسومة بل أيضا عن أفكار ومعان لها علاقة بالمعنى الأصلي للشيء المرسوم . فالرمز الدال على الشمس لم يعد يعني الشمس فقط بل الضوء والنهار واليوم والحرارة ، أي كل المعاني المتعلقة بالمعنى الأول . والرمز الدال على القدم صار يعني بالإضافة الى القدم ، يقف ، يمشي ، يأتي ، يذهب ، يركض . وصار الرمز الدال على المحراث يعني بالإضافة الى المحراث ، فلاح ، يحراث ، يزرع . الخ. وللتعبير عن معاني عديدة صارت تدمج اشارتان أو أكثر للحصول على معنى جديد مثل :

KA + NINDA = KU	فم + خبز = يأكل
SAL + KUR = GEME	امراة + بلاد جبليّة = أمة
LU + GAL = LUGAL	رجل + كبير = ملك
باختصار كان كل رمز في هذه المرحلة يعبر عن كلمة واحدة .	

٣ - المرحلة المقطعية أو الصوتية (Phonetics) :

وفيها أخذ كل رمز صوتا معينا يتناسب واللفة المستخدمة بغض النظر عن مدلوله

الصوري . وكان كل رمز يحمل عدة معان ويمكن ان يشكل كلمة أو جزءا من كلمة باضافته الى رمز أو رموز أخرى .

وقد عرفت هذه المرحلة من الكتابة المسمارية من مجموعة نصوص اكتشفت في اور ويعود تاريخها الى عصر السلالات الباكرة I - II (نحو ٢٨٠٠ ق.م) . ففي أحد النصوص ذكر الرمز تي ti الدال على «سهم» في اللغة السومرية ، كما استخدم صوت الرمز كي يدل على معنى «حياة» . يتضح من هذا ان الرمز الدال على « سهم » و « حياة » في اللغة السومرية له لفظ واحد ولكن يحمل معنيين مختلفين . وقد تبين ان اللغة المستخدمة في هذه النصوص هي اللغة السومرية . لذلك ساد الاعتقاد ان الاواح الاولى المكتشفة في اوروك وجمدة نصر كتبت بالسومرية أيضا .

ومما تجدر الإشارة اليه ان الرموز المسمارية كانت تشمل من حيث قيمتها الصوتية رموزا متعددة الالفاظ (Polyphone) ، ورموزا مختلفة صورة ومتفقة صوتا (Monophone) . فالرموز المتعددة الالفاظ بعضها يحمل معنى والبعض الآخر هو عبارة عن مقاطع صوتية فقط . فالرمز KA الدال أصلا في اللغة السومرية على الفم ، يمكن أن يعبر عن أشياء أخرى لها علاقة مع الفم بشكل أو بآخر مثل سن ويقرا ZU ، وبمعنى : كلمة ، أمر ، ويقرا inim ، وبمعنى : نداء ، صياح ، ويقرا gù ، وكفعل بمعنى : يقول ، يتكلم ، يأمر ، ويقرا du₁₁ .

أما الرموز المختلفة صورة والمتفقة صوتا فقد أعطيت من قبل المختصين في الدراسات الآشورية أرقاما (١ ، ٢ ، ٣ ... الخ) لتمييزها عن بعضها .












































































































































نلاحظ حتى الآن أن الرموز استخدمت للتعبير عن كلمات فقط . وهذه خاصة تميز بها اللغة السومرية ، التي تعد من اللغات اللاصقة أي غير المعربة . ولكن ما أن أخذ الأكاديون باستخدام الخط المسماري لكتابة لغتهم المعربة ذات التصاريف الكثيرة حتى صارت الرموز تستخدم كمقاطع لتشكيل كلمات مختلفة . وأولى الكلمات المكتشفة المكتوبة بشكل مقطعي هي MA . NANA : مينة (وحدة وزن) وتام - كار TAM . KAR : تاجر ، الواردة في نصوص شوروباك (القرن ٢٦ ق.م) . وهي كلمات أكادية استعارها السومريون من الأكاديين واستخدموها في لغتهم (١١) .

بكلمات أخرى طور الأكاديون نظام الكتابة المسماري ، الذي يعزى اختراعه الى السومريين ، من نظام كتابة كلمات الى نظام كتابة مقاطع . ولكنهم لم يتخلوا عن نظام كتابة المقاطع بشكل نهائي .

اتجاه الكتابة وادواتها :

تظهر الاواح الاولى المكتوبة والمكتشفة صور الاشياء المراد التعبير عنها كصور طبيعية . ولكن مع مرور الزمن طرا تطور واضح عليها فقد مالت تسعين درجة نحو

تطور الكتابة من صور الى مسماية

I	II	III	IV	V	VI	VII	VIII	السومرية	العننى	
								سماء إله	Himmel Gott	an dingir
								أرض	Erde	ki
								إنسان	Mensch	lu
								عانة أرأة	Scham Frau	sal munus
								جبل جبال	Berg Gebirge	kur
								أمة	Sklavin	geme
								رأس	Kopf	sag
								فم يتكلم	Mund sprechen	ke dag
								إناء طعام	Schale Speise	ninda
								ياكل	essen	ka
								ماء	Wasser	a
								يشرب	trinken	nag
								يذهب يقف	gehen stehen	du gub
								طائر	Vogel	nutschen
								سمك	Fisch	ha
								ثور	Ochse	gul
								بقرة	Kuh	ab
								حبوب	Gerste	sche

NAM.DUB.SARRA AMA GÜ.DÉ-KE.E-NE A.A UM.ME.A-KE.ES

الشكل (1) الكتابة هي أم الخطباء وأب المعلمين

اليسار ، حيث أصبحت تظهر مستقلة على ظهورها . ومن ثم تطورت عن هذه الوضعية المستقلة الاشارات المسمارية المعروفة (الشكل ١) . ويصح الشيء نفسه بشكل عام على اتجاه الكتابة . فنصوص أوروك وجمدة نصر كتبت غالبا على الواح مستطيلة الشكل رتبّت الرموز المسمارية عليها كيفما اتفق داخل مربعات أو مستطيلات . وكانت المستطيلات مرتبة في أعمدة وتقرأ من اليمين الى اليسار . وعندما كان الكاتب ينتهي من كتابة وجه اللوح يديره من اليسار الى اليمين ويكتب على ظهره بنفس الطريقة ولكن بدءا من الاسفل نحو الاعلى . ولكن تطورا جديدا طرأ على اتجاه الكتابة نحو ٢٠٠٠ ق.م حيث أصبحت اللوح تكتب من اليسار الى اليمين في خطوط طويلة . غير أن التقليد القديم في الكتابة بقي مستعملا حتى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . فمعظم الكتابات الموجودة على أحجار وكل طبقات الاختتام الاسطوانية بقيت محتفظة باتجاه الكتابة القديم (قانون حمورابي مثلا) (١٢) .

كذلك طرأت مع الزمن تغييرات على شكل الاشارات المسمارية بحيث يمكن تمييز عدة مراحل تطورية منها مثلا : المرحلة البابلية القديمة والمرحلة الآشورية القديمة والمرحلة الآشورية الحديثة التي تتميز بالبساطة والوضوح أكثر من غيرها .

كان عدد الاشارات المسمارية كبيرا في البداية حيث بلغ نحو ألف اشارة في بداية عصر السلالات الباكورة ، لكنه تناقص مع الزمن حتى أصبح نحو ٨٠٠ اشارة في نصوص شوروباك ، وأصبح نحو ٥٠٠ - ٦٠٠ اشارة في بداية الالف الثاني قبل الميلاد . وهكذا سهلت عملية الكتابة بانقاص عدد الاشارات ولكن ازدادت في نفس الوقت معاني بعض الاشارات اذ استعيز عن الاشارات المتروكة باعطاء معانيها الى بعض الاشارات المستخدمة .

وتسهيلا لقراءة النصوص المسمارية وفهمها استخدمت كلمات معينة كأدوات للتعريف Determinative Signs يكتب بعضها قبل الكلمات المراد تعريفها ، وبعضها الآخر بعدها ، نذكر منها كلمة دينجير DINGIR : وتعني إله وتكتب قبل أسماء الآلهة ، وكلمة أورو URU مدينة وتكتب قبل أسماء المدن ، وكلمة جيش GIS شجر ، خشب ، وتكتب قبل أسماء الأشجار والأخشاب والأشياء المصنوعة من الخشب ، وكلمة كي Ki أرض ، وتكتب بعد أسماء البلدان .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الكتابة المسمارية لم تتطور الى مرحلة الكتابة الأبجدية ، فتلك المرحلة الهامة من تاريخ البشرية حدثت في مدن الساحل السوري (أوجاريت وجبيل) في منتصف الالف الثاني قبل الميلاد .

استخدم سكان بلاد الرافدين الطين كمادة أساسية للكتابة ، تصنع منه الواح (DUB في السومرية وطوبوم في الأكادية) (١٣) مختلفة الأشكال (حسب الزمان والمكان



(الشكل رقم ٢)

والمضمون) ، فهي إما مستطيلة أو مربعة أو دائرية أو اسطوانية أو موشورية ، تجفف بعد كتابتها إما تحت أشعة الشمس أو تشوى في أفران خاصة ، إذا كانت تتمتع بأهمية كبيرة ، كي تصبح أكثر مقاومة . وقد أدت الحرائق والنيران التي حلت بالعديد من مدن الشرق الأدنى القديم نتيجة الكوارث والحروب المختلفة إلى شي عدد كبير من الألواح الطينية ، التي كانت محفوظة في أرشيفات تلك المدن ، وبالتالي وصلت إلينا في حالة جيدة .

كانت الألواح الصغيرة عند كتابتها تُمسك باليد اليسرى ويكتب عليها باليد اليمنى ، أما الألواح الكبيرة فلم يكن بالإمكان مسكها باليد لذلك كانت تستند على منضدة أو أي شيء آخر (١٤) .

بالإضافة إلى الطين استخدم الإنسان الرافدي مواداً أخرى للكتابة ولكن على نطاق ضيق كالمعادن (الذهب والفضة والنحاس والبرونز) والأحجار ، وخاصة للنصب التذكارية كنصب النصر لنارام سين وتمائيل جوديا حاكم لاجاش ونصب حمورابي ملك بابل والكودورو (أحجار الحدود) والنصب الآشورية الحديثة .

ويبدو أن فقر بلاد الرافدين بالمعادن والأحجار كان أحد الأسباب الرئيسة في استخدام الطين كمادة رئيسة للكتابة لتوفرها بكثرة في وديان دجلة والفرات .

استخدم سكان بلاد الرافدين الخشب والعاج أيضاً للكتابة ، ولكن في حالات قليلة جداً . فقد عُثر في كلخو (نمرود حالياً) عاصمة الملك الآشوري آشور ناصر بال الثاني على كسرات ألواح خشبية مصنوعة من خشب الطرفاء والسرو والأرز والجوز ، مما يؤكد أن الخشب كان يستخدم أحياناً كمادة للكتابة . كذلك عُثر في الموقع السابق وفي آشور على العديد من الألواح العاجية التي تحمل كتابة أو آثار كتابة ، وتعود إلى عصر شاروكين الثاني (٧٠٧-٧٠٥ ق.م) (١٥) ، وأحد الألواح يحمل الكتابة التالية :

« قصر شاروكين ، ملك العالم ، ملك بلاد آشور ، سلسلة Enuma An Enlil كتبها على لوح من العاج وأودعها في قصره في دور شاروكين » (١٦) . يبدو من ذلك أن استخدام العاج كمادة للكتابة كان محصوراً بكتابات معينة تتمتع بأهمية كبيرة .

كانت ألواح العاج تغطى بطبقة من الشمع (شمع النحل) لحمايتها ، يستدل على ذلك من قطع من الشمع وجدت مع ألواح العاج المكتشفة (١٧) . كانت ألواح العاج مستطيلة توصل مع بعضها بأسلاك نحاسية لتشكل ما يشبه صفحات الكتاب فيمكن طيها (١٨) انظر (الشكل ٢) .

كانت الألواح الطينية تكتب بأقلام من القصب مثلثة الرأس تسمى بالسومرية GI. DUB. BA وبالأكدية قن طوبي : qan tuppi وتعني : « قصب اللوح » .

أما الأقلام المصنوعة من العظم أو المعادن فكان استعمالها قليلا . ويبدو أن توفر القصب بكثرة هو الذي أدى الى استخدامه كأداة للكتابة .

استخدمت الكتابة المسمارية لكتابة اللغة السومرية أولا ، واعتبارا من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد استخدمت لكتابة اللغة الأكادية واللغة الإبلائية ، وفي الألف الثاني قبل الميلاد كتب بها الحثيون والحيوريون لغاتهم ، وفي النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد أخذها الآورانيون من الآشوريين ودونوا بها لغتهم . باختصار كتبت بها معظم لغات الشرق الأدنى القديم ، ويمكن تشبيهها بالحرف اللاتيني المستخدم حاليا لكتابة العديد من اللغات الأوروبية الحديثة ، وبالحرف العربي المستخدم لكتابة اللغة الفارسية وغيرها من اللغات .

بدأ التأثير اللغوي الآرامي يقوى تدريجيا في بلاد الرافدين في الألف الأول قبل الميلاد . وكان السبب في ذلك هو دخول العديد من القبائل الآرامية إليها واستقرارها هناك . فبدأت تظهر على بعض الألواح المسمارية من بابل وآشور تعليقات في النهاية أو على الجوانب بالآرامية . وحتى في البلاط الآشوري كان هناك كاتب بالآرامية الى جانب كاتب الخط المسماري . لذلك فإن الملاحظات التي كانت تكتب بالآرامية على الألواح المسمارية ، كان الغرض منها أن تكون دليلا سريعا عن محتوى النص لكاتب اللغة الآرامية . وهناك ألواح من الفترة الرافدية المتأخرة كتبت بكاملها بالآرامية . وتوجد أيضا مجموعة صغيرة من الألواح من بابل تحمل نصوصا بابلية كتبت بالابجدية الآغريقية (١٩) . ويرقى تاريخ آخر نص مسماري عثر عليه حتى الآن الى عام ٧٥٠ م ، وهو عبارة عن نص فلكي .

التعليم :

ان العثور على مئات الآلاف من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري في بلاد الرافدين وبعض المناطق المجاورة يفترض وجود هيئة أو مؤسسة تعليمية كانت مهمتها اعداد وتهيئة عدد من الكتاب لتسيير شؤون الدولة الادارية والاقتصادية وغيرها . وهناك أدلة كثيرة تشير الى وجود مثل تلك الهيئة في بلاد الرافدين منذ بداية العصور التاريخية . فبعض النصوص المكتشفة في أوروك IV منطقة ب (نحو ١٥٪ منها) هي لوائح معجمية تشمل أسماء أشياء مختلفة وحيوانات وموظفين ويبدو أن الغرض من تأليفها كان تعليميا (٢٠) .

كذلك اكتشفت نصوص مدرسية عديدة في شوروپاك (قارة حاليا) ، وقوائم معجمية مختلفة في أبو صلابيخ وفي إبلا (سورية) . وعثر أيضا على معاجم لغوية من

العصر البابلي القديم تضم مفردات ومصطلحات سومرية مع ترجمة أكادية لها . وبالتأكيد كان الهدف من وضعها تعليميا .

كل تلك الشواهد بالإضافة الى شواهد أخرى تؤكد وجود هيئة تعليمية عرفت بالاسم السومري إ - دوب - با E. DUB. BA (٢١) ومعناها « بيت الألواح » . وقد ترجم هذا المصطلح الى اللغة الاكادية باسم بيت طويم bit tuppi (m) (٢٢) أي « بيت الألواح » أيضا ، ويعني « مدرسة » (٢٣) بمفهومنا الحالي . وتعكس الاحجية السومرية التالية أهمية بيت الألواح في التعليم :

« بيت كالسما أسس على قاعدة ،

بيت غطاه المرء بالكتان كأنه وعاء نقي ،

بيت كالوزة الواقفة على قاعدة (متينة) ،

يدخله المرء بعيون مغمضة ،

ويخرج منه بعيون مفتوحة . (فما هو) :

الحل : بيت الألواح » (٢٤) .

كان طالب المدرسة يعرف بالسومرية باسم دومو إدوبا DUMU E. DUB. BA ، وبالأكادية مار بيت طويم mār bīt tuppim : (٢٥) ابن بيت الألواح أي « ابن المدرسة » . والمدير يدعى أوميا ummia بالسومرية (وبالأكادية : ummāun , ummiānu (m)) (٢٦) التي يمكن ترجمتها ب : الخبير ، الأستاذ ، وكان يدعى أيضاً « أب بيت الألواح » (بالسومرية أدّا إدوبا ADDA . E . DUB . BA) (٢٧) .

اما الطالب المتقدم في الدراسة فكان يدعى «الآخ الكبير» (بالسومرية شيش جال SES GAL) الذي كان يساعد الطلاب المبتدئين في إعداد وظائفهم المختلفة ، ويرد ذكره كثيرا في النصوص التعليمية . وكان الطلاب يعرفون بعضهم بلقب « زميل » (بالسومرية GI . ME . A . AS ، وبالأكادية كيناتو Kinattu) (٢٨) .

ولكن يجب ألا نتخيل « المدرسة » الرافدية بناءً ذا غرف كبيرة وعديدة فيها مقاعد للجلوس . فالدروس يمكن أن تكون قد أعطيت في الألف الثالث قبل الميلاد في بيت المعلم ، ولم تكن هناك تجهيزات خاصة بل كان الانسان يجلس على الارض .

كشفت الحفريات الفرنسية في قصر ماري الملكي عن غرفتين متجاورتين فيهما صفوف من المقاعد الطينية . وقد فسر هذا من قبل المنقبين على أنه نموذج للمدرسة البابلية القديمة . ولكن لم يعثر في هاتين الغرفتين على أية ألواح مسمارية أو أدوات للكتابة ، لذلك من الصعب البرهنة على صحة التفسير المذكور (٢٩) .

يبدو محتملاً أن الطلاب كانوا يتعلمون في ساحة البيت التي كانت مركز الحياة في كل بيت بابلي قديم . ومعظم البيوت الخاصة من هذه الفترة التي كشف عنها في أور وإسين عثر فيها على بعض النصوص المدرسية . هذا يقود الى الافتراض أن كل اولاد العائلات الغنية كانوا يذهبون الى المدرسة (٣٠) .

وعثر في نيبور على جزء من المدينة كان مملوءاً بالواح أدبية ، لذلك أصبح معروفاً عند علماء الآثار باسم تل الألواح . وربما كان هذا الجزء حياً خاصاً بالكتاب .

كانت المدارس في العصور البكرة من تاريخ بلاد الرافدين ملحقة في خدمة المعابد وانحصرت مهمتها الاساسية في تخريج عدد من الكتاب سواء من الكهنة أو غيرهم ، للقيام بالاعمال الكتابية المطلوبة في خدمة قطاعات المعابد المختلفة . ومع مرور الزمن وانتقال الحكم من يد السلطة الدينية الى يد السلطة السياسية في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد صارت المدارس تلحق بالقصور أيضاً لتخريج الكوادر المطلوبة في الاعمال الادارية ، أي أنها كانت تحت إشراف الدولة . ولكن هذا لم يمنع من ظهور المدارس الخاصة ، فقد عثر في العديد من المدن من العصر البابلي القديم على نصوص مدرسية ، مما يدل على وجود مدارس في هذه المدن (نيبور ، أور ، أوروك ، كيش ، لارسا سيبار ، أدب ، شادوبوم ، ماري ، تل الدير) (٣١) .

وفي أواخر الالف الثالث قبل الميلاد يفخر الملك شولجي ثاني ملوك سلالة أور الثالثة أنه أسس مدرستين ، الاولى في أور في جنوب سومر والثانية في نيبور عاصمة سومر الدينية (٣٢) . ويفخر أنه منذ صغره كان يزور المدرسة ودرس الواح سومر وأكاد . ولم يكن أحد في المدرسة يستطيع منافسته في الكتابة على الطين . وأكمل مهارته في الكتابة المسمارية والعد والحساب وقياس مساحات الحقول . وقد ضمنت له نيسابا (٣٣) الفهم والتركيز ، وبالتالي أصبح كاتباً ماهراً لا يصعب عليه شيء (٣٤) . وعلى الرغم مما يبدو من مبالغة في القول السابق فهناك شيء لا يمكن إنكاره وهو وجود مدرسة يتعلم فيها الطالب مواداً مختلفة . ويبدو أن قيام شولجي بتأسيس مدرستين كان سببه تزايد الحاجة الى عدد من الكتاب الجدين للعمل في مؤسسات مملكة أور الثالثة المختلفة ، التي شملت مناطق واسعة بحيث لم يعد الكتاب الخاصين قادرين على اعداد العدد الكافي من الطلاب وتأهيلهم ككتاب . كذلك شجع أحد أمراء منطقة لاجاش الطلاب على التعلم بتقديمه لهم المواد الغذائية التي يحتاجونها لفترة طويلة (٣٥) .

يبدو أن الدولة كانت تدعم التعليم عندما تكون بحاجة الى عدد متزايد من الكوادر المتعلمة ، وتتوقف عن ذلك عندما لا تكون هناك حاجة لذلك ، وبالتالي لانسمع عن تأسيس مدارس أو أية إجراءات أخرى (٣٦) .

كان التعليم منتشرًا بين فئات السكان المختلفة ، حتى بين أبناء العبيد أحياناً (٣٧) .

ولكنه تركز بشكل أساسي بين أبناء الملوك والحكام والامراء والاعنياء والمتنفذين بشكل عام . اما الفقراء فلم يكن باستطاعتهم دفع نفقات المدرسة ولم يكن لديهم الوقت الكافي للذهاب إليها (٢٨) . كان التعليم يبدأ في سن مبكرة من العمر ، الخامسة او السادسة ، ويستمر لسنوات عديدة (٢٩) فماذا كان يتعلم الطالب في المدرسة ؟ .

هناك نص امتحاني مزدوج اللغة من العصر البابلي القديم يتضمن أسئلة يطرحها معلم على أحد الطلاب في ساحة بيت الألواح بحضور المعلمين ، يتضح من خلالها المواد التي كان يتعلمها الطالب في المدرسة . وهذه مقاطع من ذلك النص (٤٠) :

- ١ - الكاتب يفحص طالبه
 - ٢ - في اجتماع المعلمين في ساحة بيت الألواح ،
 - ٣ - اجلس يا بني عند قدمي ، أريد أن أقول لك (شيئاً) وانت تجيبني . سأتكلم معك ، افتح أذنك .
 - ٤ - منذ طفولتك وحتى أصبحت يافعاً جلست في بيت الألواح ،
 - ٥ - (لكنك) لا تعرف اشارات الكتابة التي تعلمتها . تعلمت الكتابة (ولكن) لا تعرف اشاراتها .
 - ٦ - ماذا يجب علي ؟
 - ٧ - ماذا تعرف ؟
 - ٨ - أريد أن أسألك ، تكلم ! أريد أن أقول لك (شيئاً) ، وانت تجيبني ، اجبني !
 - ٩ - أسألني وسأقول لك ، أسألني وسأجيبك !
 - ١٠ - لن تستطيع أن تجيبني .
 - ١١ - لماذا لن أستطيع أن أجيبك ؟
 - ١٢ - بداية الكتابة اسفين له ستة الفاظ (مختلفة) ، يشير ايضاً الى (العدد) ٦٠ . هل تعرف اسم (الاسفين) ؟
 - ١٣ - كل ما تعلمته في اللغة السومرية هل تعرف خفاياه ، وكيف يمكن تفسيرها (بشكل صحيح) ؟ . هل تعرف كيف هي خفاياه .. ؟
 - ١٤ - هل تعرف كيف يترجم المرء ويفسر (الكلمات) ، عندما يكون الاكادي فوق والسومري تحت ، وعندما يكون السومري فوق والاكادي تحت ؟ !
 - ١٥ - هل تعرف ما هو الشيء المتبادل ... رسالة ... وثيقة ...
- ثم يطرح المعلم أسئلة أخرى على الطالب حتى السؤال الرابع والعشرين :

- ٢٤- هل تعرف غناء namnar ?
- ٢٥- هل تعرف اللغة الاكادية المتغيرة ، لغة صاغة الذهب والفضة ، لغة صانعي الاختام ، وهل يمكنك سماع (فهم) أحاديثهم ؟
- ٢٦- هل تعرف لغة المتكلم ، لغة رعاة البقر والملاحين ، وهل يمكنك اعادة تعابيرهم
- ٢٧- هل تعرف الرياضيات واجراء الحسابات وحسابات الادارة ...

ثم هناك أسئلة أخرى وتوبيخات لأن الطالب لم يتعلم بشكل جيد :

- ٣٧- مع عالم لا يمكنك أن تجري أي حديث ، ولا يمكنك التكلم مع أي حكيم ...
- ٤٨- أنت عنيد ولا تطيع .
- ٤٩- أنت قوي بشكل كاف ولست ضعيفا .
- ٥٠- هذا فحص ، لا تولول ، لا تنتحب .
- ٥١- لا تقلق ولا تتملل باستمرار !
- ٥٤- اجلس وانحن أمام الكتابة !
- ٥٥- يجب أن ينشغل بها قلبك نهارا وليلا !
- ٥٦- الكتابة قدر جيد . (الكاتب) عنده ملاك حارس أي عين نقية ، وهذا ما يحتاجه القصر الملكي .

يتبين مما تقدم أنه كان على الطالب أن يتعلم أسماء الاشارات المسمارية وبالتالي الكتابة واللغة السومرية وخفاياها واللغة الاكادية والترجمة من السومرية الى الاكادية وبالعكس والغناء والموسيقى والرياضيات واجراء الحسابات .

كما هو واضح من النص كانت نتيجة الامتحان رسوب الطالب ، وقد نصح بالقيام بدراسة متواصلة ليلا ونهارا حتى يصبح كاتباً .

وهناك نص آخر يزودنا بمعلومات أكثر تفصيلا عن المواد التي كان الطالب يتعلمها في بيت الألواح ، وهو عبارة عن مناقشة حادة بين طالبين من بيت الألواح (٤١):

- ١ - هل أنت يا ولد ابن بيت الألواح ؟ (نعم) أنا ابن بيت الألواح .
- ٢ - اذا كنت أنت ابن بيت الألواح ،
- ٣ - فهل تعرف اللغة السومرية ؟

- ٤ - أستطيع أن أترجم من السومرية .
- ٥ - انك لا زلت ولدا ، كيف تستطيع أن تترجم بفمك ؟
- ٦ - لقد استمعت الى درس معلمي الشفهي عدة مرات ،
- ٧ - سأجيبك عنه !
- ٨ - هذا الذي تجيبني يمكن أن يكون صحيحا ، ولكن كيف هي امكاناتك في الكتابة ؟
- ٩ - اذا كنت تسألني عما أكتب (فأعرف) :
- ١٠ - الزمن الذي يجب أن أبقاه أيضا في بيت الألواح هو أقل من ثلاثة أشهر .
- ١١ - على الألواح من سومر وأكاد من (سلسلة) a - ame - me (قائمة مقاطع) .
- ١٢ - حتى أنشدت وكتبت ،
- ١٣ - من الاسطر المفردة (لقائمة) Inanna - tesh (قائمة أسماء أعلام) .
- ١٤ - بما في ذلك الاشكال غير المستعملة ، حتى (سلسلة) لو = شو lu = su
(ربما قائمة بأسماء الحيوانات التي تعيش في البادية) كتبت ،
- ١٥ - اشارات الكتابة من ذلك يمكن أن أذكر ،
- ١٦ - ويمكن أن أكتب (وأعرف) تفسيرها
- ١٧ - تابع معي ،
- ١٨ - لن اجعل الامر صعبا عليك !
- ١٩ - اذا أعطاني المراء (سلسلة) lu — su في لوحى اليدوي (كوظيفة) ،
- ٢٠ - أستطيع أن أعطي نتيجة ٦٠٠ سطر lu (المقصود هنا عدد لا نهاية له) .
- ٢١ - الخلاصة ، الايام التي ساجلسها في بيت الألواح ستكون (على الشكل التالي) :
- ٢٢ - ايام عطلتي في الشهر ثلاثة ،
- ٢٣ - والاعياد في الشهر ثلاثة ،
- ٢٤ - فيبقى من الشهر ٢٤ يوما ،
- ٢٥ - أبقى فيها في بيت الألواح . اليوم لم يبق الا وقت قصير .
- ٢٦ - في أحد الايام أعطاني معلمي وظيفة (ni - sur - ra) أربعة .
- ٢٧ - الواجب المطلوب أنجز ، والكتابة التي تعلمتها لا يمكن أن تطرد .
- ٢٨ - من الآن فصاعدا يمكن أن أضع نفسي على الألواح والحساب والنتائج .
- ٢٩ - الكتابة ، الاسطر (بشكل صحيح) . . .

- ٣٠- معلمي أسمعني كلمات طيبة ،
- ٣١- هو يعاملني كزميل - هذا يجب أن يفرح الانسان .
- ٣٢- كتابتي أعرفها جيدا ،
- ٣٣- لست ملزما أمامه بشيء (المقصود أمام المعلم) .
- ٣٤- معلمي يذكر فقط اشارة كتابية واحدة ،
- ٣٥- وأنا اضيف من ذاكرتي اشارات أخرى عديدة .
- ٣٦- بعد أن جلست الوقت المقرر لي (في بيت الالواح)
- ٣٧- أعرف اللغة السومرية والكتابة والالواح وحساب النتائج ،
- ٣٨- أستطيع الترجمة من السومرية ،
- ٣٩- ربما تكون السومرية بالنسبة لك مخبأة !
- ٤٠- أريد أن أذهب لاكتب الالواح .
- ٤١- الواح أكثر من اكور(٤٢) شعير حتى ٦٠٠ كور ،
- ٤٢- الواح (أكثر) من اشيقيل(٤٣) حتى ١٠ مينة(٤٤) فضة ،
- ٤٣- مع عقود زواج - ليجلبها المرء لي . (المقصود أنه يستطيع كتابة الواح بالقضايا المذكورة) .
- ٤٤- (عقود) اجتماعية - أستطيع أن أختار أحجار الاوزان ذات ١ ثالثت(٤٥) .
- ٤٥- (عقود) شراء بيت (أو) حقل (أو) بستان (أو) أمات (أو) عبيد ،
- ٤٦- (عقود) رهن واستئجار حقول ،
- ٤٧- (عقود) زراعة بستان ..
- ٤٨- والواح (تبني) الاطفال اللقطاء - (هكذا كله) أعرف كتابته .

يتضح من النص السابق الأهمية الكبرى التي كانت تتعلق على تعلم الاشارات المسمارية ، لانها في الواقع الخطوة الاولى لتعلم الكتابة المسمارية . وبالفعل اكتشفت قوائم اشارات مسمارية عديدة وضعت من أجل هدف تعليمي(٤٦) .

اذ كان على الطالب أولا تعلم كتابة الاشارات البسيطة ثم الاشارات الصعبة والربط بين الاشارات المتماثلة او المختلفة . ينتقل بعدها الى كتابة أسماء أعلام ثم كلمات وهكذا . وكان الطالب يتدرب على الكتابة بنسخ عدة أسطر على لوحه المدرسي

(أسماء آلهة أو حكام أو اصطلاحات معينة) الذي كان قد تعلم منذ البداية كيفية صنعه والتعامل معه ومع قلم الكتابة . وكانت الألواح اما دائرية أو رباعية الشكل يكتب المعلم أو مساعده على جانبها الايسر وعلى الطالب أن يعيد نسخ النص المكتوب على الجانب الايمن . وفي مرحلة تالية كان المعلم يكتب على وجه اللوح وعلى الطالب أن يعيد كتابة النص المكتوب غيبا على ظهر اللوح . بهذه الطريقة تعلم الطلاب كتابة أسماء الاعلام والاشكال القواعدية المختلفة . وكان المعلم في الدرس السومري يطلب اعادة كتابة كلمات ومقاطع على وجه اللوح الطيني مرتين . وكان على الطلاب أن يكتبوا على ظهر اللوح لفظها وترجمتها الاكادية . في هذه المرحلة كانت تأتي دراسة ما يعرف بالقوائم المعجمية(٤٧) . ويبدو أن القوائم المعجمية لعبت الدور الاهم في دروس المدرسة . ويمكن للمرء أن يقول أن العلم السومري - الاكادي هو علم قوائم . فمجالات الحياة اليومية المختلفة والمجالات التقنية والجغرافية والدين كانت موجودة في تلك القوائم . وهي تشكل اختراعا سومريا خالصا . وأقدمها نجده بعد اختراع الكتابة بقليل بين ٢٩٠٠ - ٢٨٠٠ ق.م . ويستند التأثير السومري القوي على الحضارات الاخرى أساسا على هذه القوائم . ويجدها المرء في أرشيفات أبلا وفي حاتوشا العاصمة الحثية وفي تل العمارنة في مصر وفي سوسة في عيلام(٤٨) . بهذه الطريقة كان الطالب يتعلم الكتابة ، وللتمرين كان يقوم بنسخ أعمال أدبية كالملاحم والاساطير والترانيم الدينية وغيرها . وكثير من الاعمال الادبية السومرية وغيرها من العصر البابلي القديم معروف فقط من خلال نسخ مدرسية (مثلا قانون اورنامو وقانون ليبيت عشتار) .

كان للرياضيات أيضا نصيبها من العناية في المدرسة الرافدية وذلك لاسباب عملية تتعلق بتقسيم الحقول وحساب مساحاتها وحساب الاجور والواردات ودفع الحصص وتقسيم الملكية والميراث وما شابه ذلك مما هو ضروري للاعمال الادارية والاقتصادية في قطاعات الدولة والمجتمع . ونلاحظ في النص السابق ذكرا لبعض العمليات الحسابية .

كان الطالب في المدرسة يتلقى معارفه في الرياضيات على أيدي معلمين مختصين مثل : دوسار نيشيد DUBSAR. NISID : كاتب الحسابات ، و دوسار زاجا DUBSAR. ZAGA : كاتب القياس ودوسار أشاجا DUBSAR . ASAGA : كاتب الحقل (المساح) (٤٩) . ومن القضايا الاخرى التي كان على الطالب تعلمها في المدرسة، كما يبدو من المناقشة الحادة بين طالبي بيت الألواح، تعلم اللغة السومرية والترجمة وكيفية التعامل مع الألواح من خلال كتابة العقود المختلفة عليها سواء أكانت عقود زواج أو شراء أو استئجار أو رهن أو تبني .. الخ .

فاذا أنجز الطالب كل هذه الواجبات بنجاح انتقل الى مرحلة العمل كمساعد لموظف اداري أو لمسؤول عن حرفة للتعرف عن قرب على تقنيات وممارسات العمل

اليومي . وعند الانتهاء من هذه المرحلة يحق للطالب أن يسمى نفسه كاتباً (٥٠) (دوبسار DUB. SAR بالسومرية وطوبشارو (م) (tupsarru (m) بالاكادية) (٥١) .

وقبل الحديث عن الكتاب نورد فيما يلي نصاً يُعرف باسم « ابن بيت الألواح » يصف لنا يوماً من أيام المدرسة وبعض النشاطات المدرسية (٥٢) :

- ١ - ابن بيت الألواح الى أين كنت تذهب في الايام الماضية ؟
- ٢ - كنت اذهب الى بيت الألواح .
- ٣ - ماذا كنت تفعل في بيت الألواح ؟
- ٤ - قرأت لوحى وأكلت غذائى ،
- ٥ - صنعت لوحى وكتبته حتى النهاية ،
- ٦ - بعد ذلك أعدت لي اسطر كوظيفة
- ٧ - واعدت لي بعد الظهر لوحى اليدوي (لوح للدراسة في البيت) .
- ٨ - بعد إغلاق بيت الألواح ذهبت الى البيت ،
- ٩ - دخلت البيت ، كان أبى يجلس هناك .
- ١٠ - قرأت أمام أبى لوحى اليدوي ،
- ١١ - قرأت له لوحى بصوت مرتفع ، سرَّ أبى بذلك .
- ١٢ - ذهبت الى أبى (وقلت) :
- ١٣ - أنا عطشان ، أعطوني ماء لأشرب !
- ١٤ - أنا جائع ، أعطوني خبزاً !
- ١٥ - غسلت قدمي وجهزت سريري ، أريد أن انام ،
- ١٦ - أيقظوني في الصباح الباكر !
- ١٧ - لا أريد أن اذهب متاخراً وإلا ضربني معلمي .
- ١٨ - عندما استيقظت في الصباح الباكر ،
- ١٩ - نظرت الى أمي
- ٢٠ - وقلت لها : أعطني فطوري ! أريد أن اذهب الى بيت الألواح .
- ٢١ - عندما أعطتني أمي رغيفين ... ، أخفيت جوعي عن عينيها .
- ٢٢ - عندما أعطتني أمي (بعد ذلك) رغيفين ذهبت الى بيت الألواح .

٢٣- في بيت الالواح قال لي المراقب : لماذا أنت متأخر ؟ (عندها) خفت وصار قلبي يخفق .

٢٤- مثلت أمام معلمي وجلست ،

٢٥- « أب مدرستي » (أب بيت الالواح) قرأ لوحى بصوت عالٍ ،

٢٦- (وقال) لأن شيئاً منه كسِرَ ضربني بالعصا . .

٢٧-

٢٨- وعندما راح المعلم يتحدث عن قواعد السلوك في بيت الالواح

٢٩- (تكلم) الرجل (المسؤول) عن الملابس ؟ : لقد تسكعت على الطريق . . وضربني بالعصا .

٣٠- أب بيت الالواح أعد لي لوحى .

٣٥- (تكلم) الرجل (المسؤول) عن الهدوء : لماذا تكلمت دون أذني ؟ وضربني بالعصا .

٣٦- (تكلم) الرجل . . . : لماذا لم ترفع الكأس ؟ وضربني بالعصا .

٣٧- (تكلم) الرجل (المسؤول) عن قواعد السلوك : لماذا وقفت دون أذني ؟ وضربني بالعصا .

٣٨- (تكلم) مراقب (رجل) البوابة : لماذا خرجت دون أذني ؟ وضربني بالعصا .

٣٩- (تكلم) رجل السوط : لماذا استلمت . . . دون أذني ! وضربني بالعصا .

٤٠- معلم السومرية (قال) : تكلمت . . السومرية ؟ وضربني بالعصا .

٤١- (تكلم) معلمي : لا تزاك يدك (يعني خطك) سيئة ، وضربني بالعصا .

٤٢- صار عندي نفور من الكتابة وأهملت الكتابة .

بعد هذه المعاملة في بيت الالواح وتعرض الطالب للعقوبة عدة مرات نتيجة مخالفته قواعد التعليم والسلوك المتبعة ونشوء نفور من الكتابة عنده يذهب الى البيت ويقنع والده بضرورة دعوة المعلم الى البيت واعطائه بعض الهدايا حتى يرضى عنه ، فنقرأ في النص ما يلي :

٥٢- أُخِذَ المعلم من بيت الالواح

٥٣- وبعد أن دخل البيت (بيت الطالب) اجلس في مكان عالٍ ،

٥٤- ابن بيت الالواح مثل وخضع أمامه ،

٥٥- ماذا تعلم (الطالب) من الكتابة ،

٥٦- وضعه (المعلم) في يد أبيه (أي أخبره) .

٥٧- قال أبوه بقلب ممتلىء بالفرح

٥٨- ل أب مدرسته (أب بيت الالواح) الكلمات المفرحة :

٥٩- أنت ستفتح يد صغيري ، ستجعل منه حكيماً ،

٦٠- ستجعله يرى كل النقاط الجميلة من الكتابة ،

٦١- واره كل تفاصيل فن الالواح والعد والحساب !

٦٢- هل شرحت له كل نقاط الكتابة الصعبة بشكل واضح ؟

وبعد أن قام الاب باكرام المعلم وتقديم بعض الهدايا له قال المعلم بقلب مملوء بالفرح :

٧٠- يا فتى لأنك لم تنفر من كلمتي ولم تهملها ،

٧١- اشغل نفسك دائماً بالكتابة وأجدها بشكل كامل ،

٧٢- بحيث تستطيع تجاوز المصاعب بدوني .

٧٤- لتكن نيسابا سيدة الآلهة الحامية ، إلهتك الحامية ،

٧٥- لتجعل قلمك جيداً . . . ،

٧٦- لتأخذ كل الاخطاء من ألواحك اليدوية ،

٧٧- لتكن الاول بين اخوتك

٧٨- لتكن الافضل بين زملائك (في المدرسة)

٧٩- لتكن الاعلى بين أبناء بيت الالواح .

يتضح من النص وجود قواعد مدرسية ثابتة على الطالب مراعاتها وإلا تعرض لعقوبة الضرب بالعصا . أما تغيير المعلم رأيه في الطالب ومدحه له بعد دعوته واعطائه بعض الهدايا من قبل أب الطالب فربما يكون سببه سوء أحوال المعلمين المعاشية مما كان يضطرهم أحياناً الى قبول مثل تلك الدعوات أو الهدايا .

وهناك نص آخر يظهر ضرورة الذهاب الى بيت الالواح للتعلم ، وهو عبارة عن نص سومري كتب على ٥٧ لوحاً وكسرة يتضمن محادثة بين « أب وابنه الفاشل » .

الاب كان كاتباً وكانت رغبته أن يصبح ابنه كاتباً مثله لذلك يقرعه بعبارات قاسية .
وفيما يلي مقاطع منه (٥٢) :

- ٣ - الى أين ستذهب ؟
 - ٤ - لن اذهب الى أي مكان .
 - ٥ - اذا كنت لن تذهب الى أي مكان ، فلماذا تجعل اليوم يمر بدون فائدة ؟
 - ٦ - اذهب الى بيت ألواحك ، ادخل الى بيت ألواحك بجد !
 - ٧ - أنجز وظيفتك ، افتح
 - ٨ - اكتب لوحك !
 - ٩ - هل تريد أن يكتب لك أخوك الكبير لوحك الجديد ؟
 - ١٠ - اذا كنت قد عملت وظيفتك وقرأتها أمام مراقبك فتعالى إليّ !
 - ١١ - اقرأ اللوح أمامي !
 - ١٢ - عليك ألا تتسكع في الشارع !
 - ٥٣ - أكثر استعداداً للوقوف الى جانبك ،
 - ٥٤ - لا يوجد أحد مستعد للوقوف الى جانب ابنه .
 - ٥٨ - لا يوجد أحد يمكن أن اقارنه بك .
 - ٥٩ - ما أقوله لك يحول رأساً غيباً أصماً الى حكيم .
 - ٦٢ - جعلني ضربك باستمرار حزيناً فتركك .
 - ٧٢ - الحزن عليك أنهاني .
 - ٧٧ - لم أقل لك أبداً أن تذهب خلف الثور ، (المقصود الحراثة)
 - ٧٨ - لم أجعلك تذهب خلف الثور ، لم أرسلك أبداً للعمل .
 - ٧٩ - لم أكلفك أبداً أن تفلح حقلي ، لم أرسلك أبداً للعمل .
 - ٨٤-٨٥ - أناس مثلك يعملون ويعيلون أمهم وأباهم .
 - ١٠٤ - لماذا لا تنظر الى أصدقائك وزملائك ، لماذا لا تعمل مثلهم ؟
- ثم يوبخه بكلمات قاسية واصفاً إياه بصفات سيئة حتى يقول في نهاية النص :

- ١٧٨ - لتصبح الاول بين علماء مدينتك ،
 ١٧٩ - لتذكر مدينتك اسمك بالخير ،
 ١٨٠ - ليذكرك إلهك باسم طيب مع كلمات ثابتة ،
 ١٨١ - أوجد رضى "أمام نانا" (٥٤) إلهك ،
 ١٨٢ - لتكن واحداً ينظر اليه نين جال (٥٥) بالرضا
 ١٨٣ - المجد لنيسابا (d) Nisaba Zami

هذه العبارة الاخيرة (المجد لنيسابا) كثيرا ما كان الكتاب ينهون بها نصوصهم الادبية الطويلة كون نيسابا الإلهة الحامية للكتاب .

وهناك نص ثالث يكشف لنا عن المشادات التي كانت تحدث أحيانا بين الطلاب في المدرسة ، وهو عبارة عن مناقشة حادة بين أحد الطلاب المتقدمين (الأخ الكبير) الذي كان يساعد في تعليم الطلاب ، وطالب عادي ، هذه مقاطع منه (٥٦) :

- ١ - ابن بيت الالواح ماذا نريد أن نكتب اليوم حسب لوحنا (حسب برنامجنا) ؟
- ٢ - سوف لن نكتب مفرداتنا . (كلام الطالب)
- ٣ - ولكن سوف يعلم المعلم بذلك وسيلومنا معك . (كلام الاخ الكبير) .
- ٤ - ماذا علينا أن نجيبه ؟ (كلام الاخ الكبير) .
- ٥ - تعال أريد أن أكتب حسب رغبتى ، يمكننى أن أعطي التكليف (الأمر) .
- ٦ - اذا كنت تستطيع أن تعطي الامر فانا لم أعد بعد اخوك الكبير .
- ٧ - بناءً على ماذا تتدخل أنت في شؤوني كأخ كبير ؟
- ٨ - بناءً على الكتابة أصبحت بارزاً ومارست عمل الاخ الكبير بشكل تام .
- ٩ - أنت الذي لديه فهم ونظر ثقيل ، متخلف بيت الالواح ،
- ١٠ - المحدود عقليا في الكتابة ، الاصم في اللغة السومرية ،
- ١١ - أنت الذي لديه يد مثقوبة ، يد ليست مناسبة لقلم الكتابة ،
- ١٢ - غير الملائمة للطين (المقصود اللوح) التي لا يمكنها تتبع حركة الفم (المقصود تتبع النص الاملائي) .

- ١٣- هل انت كاتب الواح مثلي ؟
١٤- لماذا انا لست كاتب الواح مثلك ؟
١٩- أنت تكتب لوحاً ولكنك لا تستطيع فهمه .
٢٠- أنت تكتب رسالة ، هذه هي حدود (امكاناتك) .
٢١- اذهب لتقسم حقلاً ، لا تستطيع تقسيم الحقل ،
٢٢- اذهب لتوزع أرضاً ، لا تستطيع أن تثبت خيط القياس ولا قصب القياس (بشكل صحيح) .
٢٣- لا تستطيع أن تدق اوتاد الحقل (حدوده) ، لا تستطيع الدخول في فهم قياس الحقل) .
٦١- ابي هو لغة سومرية ، انا ابن كاتب الواح .
٦٢- ولكنك أنت ابن (إنسان) وضع ، حلاق غبي .
٦٣- لا يمكنك تشكيل لوح ، لوح ذو عمود واحد لا يمكنك تسويته وعمله .
٦٤- لا تستطيع أن تكتب سطرًا ، الطين ليس مناسباً ليده .

الكتاب :

يرد أقدم ذكر للكتاب في النصوص الرافدية في الواح فاره وفي الواح ابو صلابيخ حيث كانوا يكتبون أسماءهم غالباً على تلك الالواح. وقد استمر هذا التقليد في العصور اللاحقة كما سنرى . وارتبط نشاطهم في البداية بالمعابد والقصور ، ولكن اعتباراً من النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد ارتبط بالاضافة الى ذلك ، بيت الالواح الذي لم يكن فقط مدرسة تعليمية هدفها تخريج عدد من الكتاب ، بل أصبح أيضاً نتيجة للتطور المستمر وانتشار التعليم مركزاً أكاديمياً تؤلف وتنسخ فيه الاعمال الادبية والعلمية المختلفة ، ونشأ بين جدرانها العالم الذي يتقن اللغة والكتابة والقواعد والرياضيات والدين والنبات والحيوان ، اي باختصار كل علوم العصر .

كان ينظر الى الكاتب على انه حرفي مثله مثل أي حرفي آخر كالنجار او الحداد او صانع المراكب ، ويتلقى أجراً مشابهاً لأجورهم . ويبدو انه كان للكتاب أماكنهم الخاصة بهم في المدن كالحرفيين الآخرين يمارسون فيها مهنة الكتابة والتعليم كأعضاء احرار في مجتمعاتهم . ولكن الفرق بين الكتاب والحرفيين الآخرين هو أن المجال كان مفتوحاً أمام الكتاب ، وخاصة اذا كانوا من أسر غنية او متنفذة ، للصعود في سلم

الوظائف. وهناك أمثلة عن كتاب من عصر سلالة أور الثالثة، عندما كانت الحاجة كبيرة الى الكتاب ، وصلوا الى مناصب حكومية رفيعة (٥٧). مقابل ذلك هناك أمثلة من العصر البابلي القديم عن كتاب محترفين من بين الألواح كانوا يجلسون في الشوارع يعرضون خدماتهم ، ويستطيع الانسان العادي أن يستعين بهم لكتابة رسالة أو دعوى أو عقد ما مقابل دفع مبلغ من المال . ويمكن أن توصف طبقة الكتاب بشكل عام أنها رستقراطية فقيرة Poor aristocracy (٥٨) .

اختفى بيت الألواح كمؤسسة تعليمية في نهاية العصر البابلي القديم ، أي مع سقوط المملكة البابلية الاولى واستيلاء الكاشيين على الحكم في بداية القرن ١٦ قبل الميلاد . وكان السبب في اختفائه تبدل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية لأنه لم يكن بإمكانه المحافظة على موقعه إلا في مجتمع ذي طبقة قوية حرة منتجة اقتصاديا . ولكن لا يعني هذا زوال مهنة الكتابة وانعدام الكتاب ، بل تركز المهنة في عائلات معينة كانت تورث فيها تقاليد الكتابة من الأب الى الابن . وهكذا نشأت تقاليد عائلية متوارثة . واستطاع بعض الكتاب في العصور اللاحقة تتبع أجدادهم من الكتاب حتى الجيل الثاني عشر (٥٩) .

ان معظم المعلومات المتوفرة عن الكتاب مأخوذة من (كولوفونات Colophons) الألواح الادبية . والكولوفون (كلمة أغريقية تعني ذروة ، قمة) هو عبارة عن «تذييل» يرد في نهاية النص المكتوب ويحوي معلومات عن العمل المكتوب (عنوانه ، عدد الاسطر ، مصدر النسخة المكتوبة) وعن الكاتب والهدف من الكتابة وأدعية وصلوات والتاريخ (٦٠) ولكن هذه المعلومات ليست موجودة كلها على كل كولوفون ، كما أن ليس على كل لوح مكتوب كولوفون .

واذا كان العمل الادبي مكتوبا على عدة ألواح (كملحمة جلجاميش المكتوبة على ١٢ لوحاً) يجري تمييزها عن بعضها بترقيمها ، أو بإضافة السطر الاول من اللوح التالي أو بعض كلمات منه الى نهاية اللوح السابق ، مثلا : اللوح الرابع من أسطورة إنوما إليش Enuma elish يبدأ بجملة : « وأقاموا له حجرة ملوكية » . هذه الجملة كتبت في نهاية اللوح الثالث .

وكان عنوان العمل المكتوب يتألف إما من الكلمات الاولى منه مثل : إنوما إليش : « عند ما في العلى » ، أو من وصف لمحتواه . وإذا كان له عنوانان يمكن أن يذكر الاثنان مثل : شانجبا إمورو ، إشكار جلجاميش :

: Sa nagba imuru, iskar Gilgamesh

« الذي رأى كل شيء » ، « سلسلة جلجاميش » .

أما الكاتب فيذكر نفسه بالصيغة المعتادة طوبي (tuppi) فلان ، أي : لوح فلان ، أو طوبشارو فلان ، أي الكاتب فلان ، أو يميز نفسه بكتابة قات (qāt) فلان ، أي : يد فلان ، أو بكتابة شاطر (satir) (٦١) فلان ، أي : الكاتب فلان (٦٢) .

وكان الكاتب أحيانا يعرف حسب بلده كما في : طوبشارو آشورو tupsarru assurû كاتب آشوري ، أو حسب عمله : طوبشار إنوما أن إنليل tupsar Enuma An Enlil كاتب (سلسلة) إنوما أن إنليل (سلسلة فلكية) ، أو حسب مكان عمله طوبشار بيت آشورو tupsar bit Assur : كاتب معبد آشور ، وهناك أيضا طوبشار مردوك Tubsar Marduk : كاتب مردوك (٦٣) .

وأحيانا كان بعض الكتاب يسمون أنفسهم طوبشار شاريم tupsar sarrim : كاتب الملك ، كما في مثال الكاتب آشور شومي أصبت Assur - sumi asbat الذي ترك كتابة عليها ختمه يذكر عليه أنه ابن الكاتب الملكي رباتي Ribâte . وقد عمل هذان الكاتبان في عهد الملك الآشوري تيجلات بليسر الأول (١١١٢ - ١٠٧٤ ق.م) (٦٤) .

أما ذكر الهدف من الكتابة فهو لبيان استخدامات النص المكتوب للاستفادة من ثواب الآلهة على القيام بالكتابة . وكان الهدف من الادعية والصلوات تحقيق الخير للكاتب وابعاد الشر عنه وحفظ اللوح المكتوب .

ويعتقد أن النصوص التي لم يذكر في نهايتها اسم الكاتب أنها كتبت من قبل أكثر من كاتب كما في بعض نصوص سلالة أور الثالثة .

ويأتي أخيرا التاريخ على الكولوفون ويبدأ بالشهر ثم اليوم فالسنة مثل : شهر آذار ، اليوم الخامس ، سنة كذا . كانت السنة تسمى باسم حادث هام حدث خلالها أو خلال السنة السابقة . أما في الوثائق الآشورية القديمة فكانت تؤرخ باسم أحد الموظفين الكبار (Limmu) الذي يعين لسنة واحدة فقط .

وحدث تبدل على طريقة التأريخ البابلي في العصر الكاشي إذ استخدم نظام تعداد السنوات الملكية مثل : السنة الأولى من حكم كوريجالزو ... الخ . وبقي هذا النظام سائدا في بلاد بابل حتى القرن الرابع قبل الميلاد . أما في بلاد آشور فقد ظل نظام « ليمو » مستخدما . وفي عام ٣٠٥ ق.م أدخل نظام جديد للتأريخ في بلاد الرافدين رقت فيه كل سنوات الحكم بالتتالي اعتبارا من السنة الأولى للسلالة السلوقية ابتداء من عام ٣١١ ق.م .

أما ذكر المدينة في الكولوفون أحيانا فهو مفيد جدا لمعرفة المكان الأصلي الذي تنسخ فيه النص ويبين انتقال النص من مكان إلى آخر . أحيانا كان يذكر اسم مالك اللوح أو المكلف بالعمل أو المدقق .. ويمكن تشبيه الكولوفون حاليا بالمعلومات الواردة على غلاف أي كتاب والمتضمنة اسم المؤلف واسم الكتاب وتاريخ ومكان الطبع .

نورد فيما يلي نماذج من الكولوفونات المكتشفة :

كولوفون من عهد الملك البابلي عمي صدوقا (١٦٤٦ - ١٦٢٦ ق.م) :

- ١ - اللوح الثاني من « عندما الآلهة الانسان » .
- ٢ - ٤٣٩ عدد أسطرها .
- ٣ - يد كَسَبَ أيا Kasap - Aya ، الكاتب الصغير .
- ٤ - شهر شَبَاطوم ، اليوم الثامن والعشرين
- ٥ - السنة : الملك عمي صدوقا بنى دور (قلعة) عمي صدوقا عند مصب الفرات (٦٥) .

كولوفون ثان :

- ١ - لوح نابو شاليم شونو Nabû - sallim - sunu ، الكاتب الكبير للملك ، المعلم الأكبر ، عالم شاروكين ملك بلاد آشور ،
- ٢ - يِكْر خَرَمَكُو Harmak Ku ، كاتب الملك ، من آشور .
- ٣ - من سنة حكم عشتار دوري Istar - dûri حاكم أرابخا ، جلبه المرء (٦٦) .

كولوفون ثالث :

- ١ - نسخة من بلاد آشور
- ٢ - كتبت ودقت حسب أصلها
- ٣ - من يأخذ هذا اللوح
- ٤ - ليتم بسرعة على يد نابو (٦٧) .

كولوفون رابع : من مكتبة آشور بانيبال في نينوي :

- ١ - آشور بانيبال الملك الكبير ، الملك القوي ملك العالم ، ملك بلاد آشور ،
- ٢ - ابن أسر حدون ملك بلاد آشور ،
- ٣ - ابن سنحريب ملك بلاد آشور ،
- ٤ - حسب محتوى ألواح طينية وخشبية ،
- ٥ - نسخ بلاد آشور وبلاد سومر واكاد ،

- ٦ - هذا اللوح في مجلس العلماء
- ٧ - كتبه ودقته وراجعته
- ٨ - ووضعه للقراءة من أجل جلالتي داخل قصري .
- ٩ - من يمحو كتابتي ويكتب اسمه
- ١٠ - ليمحو نابو ، كاتب الكون ، اسمه (٦٨) .

كولوفون خامس : أيضا من مكتبة آشور بانيبال في نينوى :

- ١ - قصر آشور بانيبال ملك العالم ، ملك بلاد آشور
- ٢ - الذي اتكا له على آشور (٦٩) ونين ليل (٧٠) ،
- ٣ - الذي وهبه نابو وتشميتو Tasmétu (٧١) فهماً واسعاً .
- ٤ - الذي تلقى عيناً مضيئة ، المختار من فن الكتابة ،
- ٥ - كما لم يتعلم هذا الفن أي ملك من الملوك الذين سبقوني .
- ٦ - حكمة نابو ، الاشارات المسمارية ، كما ربت ،
- ٧ - كتبتها على الواح ودقتها وراجعته ،
- ٨ - لقراءتها ولجعلها تقرأ لي وضعتها داخل قصري .
- ٩ - من يتكل عليك فلن يصبه مكروه ، (يا) ملك الآلهة (يا) آشور .
- ١٠ - من يأخذ (اللوح) أو يكتب اسمه بدلا عن اسمي ،
- ١١ - ليحطمه بحقن وغضب آشور ونين ليل و
- ١٢ - ليندمر اسمه ونسله في البلاد (٧٢) .

يفتخر آشور بانيبال في المثاليين الآخرين بمعرفة القراءة والكتابة . وقد أثبتت المكتشفات الأثرية رعايته للعلوم والآداب من خلال اقامته مكتبة ضخمة في نينوى تحوي آلاف الرقم الطينية التي تتعلق بعلوم وآداب سومر وأكاد وبابل وآشور .

ولكن معرفة آشور بانيبال للقراءة والكتابة ليست مثالا فريدا يدل على تعلم الحاكم أصول القراءة والكتابة . فقد أشرنا سابقا أن شولجي ثاني ملوك سلالة أور الثالثة يفتخر بذلك في إحدى الترانيم حيث يقول :

« منذ أن كنت طفلا (كنت) في بيت الالواح ، تعلمت فن الكتابة حسب الواح سومر وأكاد . لم يكن أحد من الاطفال يكتب لوحا مثلي ، .. أنا قادر تماما على الطرح والجمع ، (ذكي) في العد والحساب » (٧٣) .

ويقول أيضا :

« أنا كاتب الالواح الحكيم ل نيسابا ، مثل أعمالي البطولية ومثل قوتي اكملت حقاً الحكمة ، جعلت نفسي أقاد حسب قولها الثابت » (٧٤) .

وبعده بنحو قرن من الزمن يدعى ليبيت عشتار ملك إسين (١٩٣٤ - ١٩٢٤) معرفته القراءة والكتابة حيث يقول : « كاتب نيسابا الذي .. يعرف ، أنا » (٧٥) . أما من بنات الملوك فلدينا إنخيدو أتا Enheduanna ابنة شاروكين ، مؤسس الامبراطورية الاكادية والكاهنة الكبرى لنانا اله القمر في مدينة أور مركز عبادته الرئيس . وهي إحدى الكاتبات القليلات المعروفات من بلاد الرافدين ، ويعرف مؤلفها باسم (حسب السطر الاول منه) :

نين - مي شار - را nin - me-sar - ra : « سيدة كل مظاهرة الحياة » ، الذي هو عبارة عن تمجيد للالهة إنانا (عشتار) إلهة الحب والخصب والحرب . وبذلك فهي تعد أقدم مؤلفة معروفة في التاريخ (٧٦) .

بشكل عام لا تسجل النصوص الادبية أسماء مؤلفيها ولكن الفهرس المحفوظ في نينوى يرودنا بقائمة من المؤلفين لبعض المؤلفات المشهورة مثل : سين - ليقي - او تينني Sin - Iiqi - unninni مؤلف سلسلة جلجاميش و لو-نانا Lu - Nanna مؤلف أسطورة إنانا .

أما الكتاب فهناك أسماء عديدة منهم معروفة وكان لهم دور بارز في الحياة الثقافية مثل الكاتب إنا - شمي - واصو Ina - samê - Wāsû الذي أنهى في ٨ آب عام ١٧٢٥ ق.م ، أي سنة حكم الملك البابلي سمو إلونا الرابعة والعشرين ، كتابة لوح عليه ٥٠ سطرا في عشرة أعمدة هو عبارة عن عمل معجمي هام (٧٧) . وهناك الكاتب ريموت - جولا Rimut - Gula من العصر البابلي الحديث الذي نسخ إحدى كتابات حمورابي وذكر اسمه في نهاية اللوح (٧٨) .

ومن الكتاب المعروفين أيضا الكاتب نور-أيا Nur - Aya الذي نسخ قصة الطوفان البابلية (أترا خاسيس) ووصف نفسه بالكاتب الصغير (dubsar tur) (٧٩) . ربما ليدل على تواضعه . ولدينا أيضا الكاتب نادين nādin كاتب معبد إيانا في أوروك الذي كتب الكثير من الوثائق والرسائل خلال فترة نحو ٣٥ سنة من عهود نيرجال شار أو صور ونابونيد وقورش وقمبيز (٨٠) . ومن كتاب معبد إيانا المشهورين أيضا

الكاتب نابو باني أخي الذي يظهر كثيرا في النصوص الادارية والاقتصادية المكتشفة في مدينة أوروك والعائدة الى العصر البابلي الحديث (٨١). ومن آشور هناك الكاتب نابو - زوكوب - كينا Nabu - zukup - Kéna الذي عمل نحو ٣٣ عاما خلال حكمي شاروكين الثاني وسنحريب واشير اليه باسم « كاتب كلخو الملكي » (٨٢). وتزودنا نصوص إبلا بأسماء بعض الكتاب مثل تيرا إل Tira - Il كاتب « القائمة الجغرافية » ورسالة ملك إبلا الى ملك خمازي (٨٣).

وعلى الرغم من ان معظم الكتاب كانوا من الذكور الا أنه كان يوجد أيضا بعض الكاتبات ، ولكن كان معظمهن من الكاهنات ومن بنات الملوك والامراء والحكام (٨٤). ومع انتشار اللغة الارامية في بلاد الرافدين في الالف الاول قبل الميلاد ، والتي كانت تكتب بحروف أبجدية سهلة الاستعمال ظهر الى جانب كاتب اللوح الطيني المسماري كاتب اللغة الارامية الذي كان يكتب اما على الرق أو على البردي . فالبردي كان معروفا في بلاد الرافدين منذ عهد الملك الاشوري شاروكين الثاني وذكر في أحد النصوص العائدة الى ذلك العهد (٨٥). ولكن بما أن البردي قابل للتلف في البيئة الرطبة فإنه لم يعثر على برديات في بلاد الرافدين . وهناك نحت بارز من تل برسيب يرقى تاريخه الى القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد يظهر كاتبان أحدهما يكتب بقلم من القصب على لوح من الطين ، والثاني يكتب بقلم من الحبر (أو مادة أخرى) على مادة للكتابة يبدو أنها رق (٨٦). ويمسك كلاهما أداة الكتابة بطريقة مختلفة عن الآخر . وهناك نماذج مشابهة لهذين الكاتبين تشاهد في المنحوتات البارزة في قصور ادد نيراري الثالث وتيجلات بيلىصر الثالث وسنحريب وآشور بانيبال في كلخو ونيوى (القرن السابع قبل الميلاد) (شكل رقم ٣) .

المكتبات :

سميت المكتبة باللغة السومرية إم - جولا IM. GU. LA ، والتسمية الاكادية لها هي جيرجيناككو girginakku ، وهي كلمة مستعارة من السومرية (٨٧). كانت المكتبات موجودة في كل فترة من فترات التاريخ الرافدي ، وكانت إما ملحقة بالمعابد لخدمة أغراض دينية أو بالقصور لتلبية حاجات الدولة الادارية والسياسة والاستقطاب العلماء والكتاب من أجل العمل في خدمة السلطة . كذلك كانت هناك مكتبات خاصة. فقد أظهرت الحفريات الاثرية في ماري وإبلا وجود مكتبات ضخمة تتمثل في الارشيفات الملكية المكتشفة في المدينتين . ففي إبلا عثر على الألواح مبعثرة على الارض بعد أن تحطمت الرفوف الخشبية التي كانت تحملها . وكان المسؤول عن المكتبة مكلفا بترتيب وتصنيف ألواحها بشكل جيد يسهل عليه الوصول اليها بسرعة عند الحاجة . وهناك ألواح كبيرة من عصر سلالة أور الثالثة يلاحظ المرء وجود ملاحظة صغيرة مكتوبة على أحد أطرافها كانت بمثابة الدليل على محتواها ، وبناء عليها يمكن للمسؤول أن يجد اللوح المطلوب بنظرة سريعة . وعندما لا يتوفر الخشب الغالي الثمن كانت الألواح



شكل رقم (٣)

ترتب على رفوف من الطين مطلية بالقار أو مغطاة بحصر منعاً للرطوبة أو تحفظ في جرار فخارية أو في سلال مصنوعة من الطين والقصب ، التي كانت تستخدم أيضاً لنقل الألواح من مكان إلى آخر . وأحيانا كانت الألواح تحفظ في صناديق من الطين (٨٨) .

من المكتبات الخاصة المكتشفة مكتبة مؤلفة من نحو ثلاثة آلاف لوح طيني في بيت أحد الكهان يرقى تاريخها إلى نحو ١٦٣٥ ق.م . وقد كشفت عنها الحفريات الأثرية البلجيكية في تل الدير . كذلك فإن الأشخاص الذين أرسلهم آشور بانيبال إلى المدن الأخرى لتقصي أخبار الألواح المكتوبة ، أعلموه بوجود مكتبات خاصة عديدة في بلاد بابل وأرسلوها له .

غير أن أشهر مكتبات بلاد الرافدين ومكتبات الشرق الأدنى القديم بشكل عام هي مكتبة آشور بانيبال في نينوى التي تعد مصدراً لا يقدر بثمن لمعرفة الآداب والعلوم الرافدية . وكان بعض الملوك الآشوريين السابقين مثل تيجلات بيليسر الأول وشاروكن الثاني وسنحريب وأسر حدون قد أسسوا مكتبات في قصورهم . ولكن أحداً منهم لم يبلغ الحد الذي بلغه آشور بانيبال من العناية بمكتبته .

تحدث ثلاثة نصوص من مكتبة آشور بانيبال عن وجود مكتبات خاصة عند عدة علماء كتاب في نينوى فيها الكثير من الألواح الطينية والخشبية كتبت عليها أعمال أدبية وعلمية تقليدية جلبت إلى المكتبة الملكية الجديدة ، أو يجب أن تجلب . ولكن تجدر الإشارة إلى أنه لم تبقى أية ألواح خشبية في مكتبة آشور بانيبال بسبب طبيعة الطقس التي لا تساعد على حفظ الألواح الخشبية (٨٩) . أما الألواح المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال فبلغت أكثر من خمسة وعشرين ألف لوح طيني تشمل أساطير وتراجم وملاحم (كملحمة جلجاميش وأسطورة الخلق وقصة الطفوفان) ونصوصاً أخرى تتعلق بمختلف جوانب الحياة العلمية في بلاد الرافدين كالطب والرياضيات والفلك والتنجيم والجغرافية والتاريخ وقوائم بأسماء بلدان ومدن وأنهار وجبال ونباتات وطيور . ويمثل بعض رقمها معاجم لغوية كتبت باللغتين السومرية والأكادية . وهذه الألواح محفوظة حالياً في المتحف البريطاني في لندن لأن البعثة التي كشفت عنها في النصف الثاني من القرن الماضي كانت انكليزية .

جند آشور بانيبال عدداً كبيراً من العلماء والكتاب للعناية بمكتبته وجلب ونسخ الرقم المختلفة من مدن بلاد الرافدين الأخرى . فقد كان يرسل بعثات إلى المدن المعروفة آنذاك كمراكز للآداب والعلوم مثل بابل وبارسييا وكوتا وآشور بهدف الحصول على المؤلفات العلمية والأدبية المختلفة . وهناك رسالة ، يبدو أنها منه ، توضح ذلك ، تقتطف منها المقاطع التالية : « كلمة الملك إلى شادونو Shadunu أحوالي جيدة ، أرجو أن تكون أنت بخير ، عندما تستلم هذه الرسالة خذ معك هؤلاء الرجال الثلاثة (أسماءهم مذكورة) ورجال العلم في مدينة بارسييا ، وابحث عن جميع

الالواح كل تلك التي في بيوتهم ، وكل تلك التي أودعت في معبد ازيذا Ezida (معبد الاله نابو في بارسيسيا) . ثم يتابع فيقول :

« وابحثوا عن الالواح القيمة الموجودة في خزائن كتبكم (أرشيفات) والتي لا توجد في بلاد آشور وأرسلوها الي . كتبت الى الموظفين والمراقبين ... ولن يمتنع أحد عن إعطائكم أي لوح تريدونه ، وإذا رأيت أي لوح أو (رقيم يخص) الطقوس لم أكتب لك عنه سابقا ، وتعتقد أنه مفيد لقصري ، ابحث عنه واحصل عليه وأرسله إلي » (٩٠) .

وهناك رسالة من أحد الكتاب الى الملك آشور بانيبال يقول فيها : « سنعمل بموجب تعليماتكم الموجهة الينا لجمع الالواح المدونة باللغة السومرية » . ونقرأ في رسالة ثانية من كاتب آخر الى الملك ما يلي : « بناء على أمركم سأجلب اللوح الطيني الخاص بالملك حمورابي علما أن النسخة الاصلية من هذا اللوح كانت قد تلفت وأمر حمورابي بكتابة نسخة عنها » (٩١) .

يتضح من ذلك حرص الملك الشديد على الحصول على الالواح الهامة والنادرة ورغبته في اقتنائها في مكتبته .

يبدو أن الالواح كانت تعار أحيانا من المكتبات فهناك لوح من مكتبة أوروك من عصر شاروكين الثاني منك آشور كتب عليه أنه نسخة من لوح آخر استعاره « قصر آشور » ، ويبدو أنه لم يعد الى مكانه . كذلك استعير لوح آخر من أوروك من قبل نابو بولاصار ملك بابل (٩٢) .

الهوامش

Römer, W.H.Ph., *Texte aus der Umwelt des Alten Testamentes-III. Weisheitstexte, Mythen und Epen : Weisheitstexte I*, Gütersloh 1990, p47, note 7 c ; Edzard, D.O., in : Haussig(Herausgeber), *Wörterbuch der Mythologie , Band I, Götter und Mythen im Vorderen Orient*, Stuttgart 1965, p. 56 ff .

ويظهر إنكي في نصوص إبلا كما يلي : إ-أوم É - um x ، ويعتقد أنه هذه الكلمة كانت

(١) الكلمة الدالة على الكتابة في اللغة الاكادية هي طوبشاروتوم أو توبشاروتوم والتي تعني أيضا « تعليم » . انظر :

AHw 1396 b

(٢) أمانكي Amanki هو شكل اسم إنكي Enki في لهجة إيمسال السومرية . وإنكي هو اله الحكمة والسحر والماء العذب الواقع تحت الارض . كانت مدينة إريدو Eridu (حاليا تل أبو شهرين في جنوب العراق) مركز عبادته الرئيس . وتعد هذه المدينة ، حسب قائمة الملوك السومرية ، أقدم مدينة في سومر . أطلق الاكاديون عليه اسم إيا Ea .

كانت المقدمة لظهور الكتابة ، وهي :

١ - ٨٠٠٠ ق.م ظهور التوكنز .
٢ - ٣٢٥٠ ق.م ظهور أغلفة طينية على شكل
كرات كبيرة لحفظ التوكنز ذات الأهمية
الخاصة .

٣ - ٣٢٠٠ ق.م ظهور اشارات رسمت على
سطح الاغلفة هي عبارة عن صور للتوكنز
المستخدمة في العد .

٤ - ٣١٠٠ ق.م ظهور الاواح الطينية
المكتوبة . انظر :

Schmandt - Besserat, D., «Two
Precursors of writing plain
and complex Tokens, » in : **The
origins of Writing**, edited by
W. M. Senner , Lincoln and
London 1989 , P. 27-41 ; « The
origins of Writing - an archaeo-
logist's Prespective », in: **Written
Communication**, vol. 3 No. 1 ,
January 1986, P. 31-45; «Facts
and interpretation, » in : **Visible
Language** 1988.

Walker, C. B. F. , **Cuneiform,
reading the past 3** , Berkeley
and Los Angeles California
1988, P. 7 .

Finkel , I. L. , « Inscriptions
from Tell Brak 1984 » , in : **Lraq**
47 (1985) , P. 187 .

انظر الهامش رقم ٦ .

انظر حول الكتابة السامرية بشكل مفصل:
Driver , G. R. , **Semitic Writing
from Pictograph to Alphabet** ,
1944 , newly revised edition
edited by S. A. Hopkins, London
1976 , P. 1 - 77 ; Edzard D. O.,
«Keilschrift», in : **RLA** 5 (1976-
80) , P. 544-568.

يا جذر الاسم مضافا اليه علامة
« u » وعلامة التسمييم (m) .

سي « حياة » ، « حي » . وبذلك يصبح
لدينا إله مقابلا للإله موت ، الذي يظهر في
نصوص أوجاريت . وكون الإله « حيوم »
مسؤولا عن الماء العذب تحت الأرض فإن هذا
يذكرنا بالتعبير المستخدم في العربية والعبرية
« ماء الحياة » لوصف مياه الينابيع أحيانا .
انظر :

Kienast, B., « (d) Ebla und der
aramäische « status empha-
ticus», » in : Cagni, L. (editor),
Ebla 1975 — 1985 , Napoli
1987 , p . 37 ff .; Stieglitz, R.,
« Ebla and the Gods of Canaan,»
in : **Eblaitica** 2 , Winona Lake ,
Indiana 1990, p. 87 ff.

(٣) Emesal لهجة النساء ، وهي إحدى
اللهجات السومرية . كانت تسمى بالأكادية
لشأنو سليطو : لسان سليط .

(٤) Sjöberg, A.W., « In praise of the
scribal art, » in: **JCS** 24 (1972),
p. 126—131; Römer, W.H.Ph.,
**Texte aus der Umwelt des Alten
Testaments III**, Weisheitstexte I,
p. 46 — 48 .

(٥) هناك من يرى أن اختراع الكتابة السامرية

سبقته مرحلة عرف الإنسان خلالها وسيلة
لعد الأشياء بوساطة كرات صغيرة من الطين
ذات أشكال مختلفة تعرف حاليا باسم
tokens . وقد وجدت أعداد كبيرة منها

(٨) في مناطق عديدة من الشرق الأدنى القديم
يرقى أقدمها إلى نحو ٨٠٠٠ ق.م ، أي إلى
الزمن الذي بدأ فيه الإنسان يعرف الزراعة .
وكان الهدف من إيجاد هذه الطريقة عد البضائع
والسلع والأشياء المختلفة ، وبالتالي تنظيم
المعلومات الاقتصادية . ويعتقد أصحاب هذا
الرأي أن التوكنز مرت بأربع مراحل تطورية

Halle - wittenberg (1955/56) ,
P. 696 .

(٢١) عند مراجعة كلمة أدب في لسان العرب ، المجلد
الاول ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ نقرأ ما يلي :

الادب : الذي يتأدب به الاديب من الناس ،
سُمي أدبا لانه يأدب الناس الى المحامد وينهاهم
عن المقايح . وأصل الادب الدعاء . وقال أبو
زيد أدب الرجل يأدب أدبا ، فهو أديب .
غيره الادب : ادب النفس والدرس .

بناء على ما تقدم من حيث عدم ذكر أصل
للكلمة او اشتقاق لها نرى انه يمكن أن تكون
هناك صلة ما بين كلمة أدب العربية وادوبا
السومرية .

(٢٢) AHW 134 b. بيت الاالواح ، أرشيف ،
مدوسة : bit tuppi(m):

(٢٣) كان مايسنر أول من ترجم « بيت طوبي » :
مدوسة . انظر :

Meissner , B ., **Babylonien und
Assyrien 11** , Heidelberg 1925 ,
p. 324 .

(٢٤) Sjöberg , A. W., « The old Baby-
lonian EDUBA , » in : AS 20
(sumerological studies in honor
of Th. Jacobsen) , Chicago-
London , 1975 , p. 159 ; Römer,
**Texte aus der Umwelt des Alten
Testaments 111** , Weisheitstexte
I. p. 44 .

AHW 616 a (٢٥)

AHW 1415 a أوميانوم / أومانو (٢٦)
ummianu (m) , ummanu

ماسح حقول ، حرفي ، خبير ، عالم ، فنان ،
دائن . انظر : AH w 14 15a

(٢٧) Kramer , S.N., « Die sumerische
Schule,» P. 697 ; **The Sumerians**,
Chicago - London 1963, p. 232.
AHw 479 b ; CAD 6 K,p. 381. (٢٨)

(١٠) انظر حول نصوص اوروك :

Falkenstein, A., **Archaische Texte
aus Uruk** (= Ausgrabungen der
Deutschen Forschungsge mein-
schaft in Uruk - Warka, Band2),
Berlin 1936 .

(١١) Driver, G. R. , **Semitic Writing
from Pictograph to Alphabet** ,
P. 58 ff.

(١٢) Walker , C. B. F. , **Cuneiform**,
P. 14 .

(١٣) طوبوم tuppu(m) : رسالة ، وثيقة ،
لوح (طيني) ، انظر : AHW 1394 b

وهناك كلمة أكادية أخرى تعني لوح هي ليثوم
Le' u (m) ربما كانت تستخدم غالباً للدلالة

على الوثيقة المكتوبة على لوح خشبي أو
معدني ، بالإضافة الى استخدامهما في المجالات
العملية للدلالة على الاالواح الخشبية
والمعدنية المستخدمة في صنع او تغطية أبواب
القصور والمعابد أو غير ذلك . انظر :

AHW 546 ff , ; CAD 9 L , 156
ff.; Wiseman , D. J., « Assyrian
writing - Boards , » in : Iraq 17
(1955), p. 10 ff.

(١٤) Driver , op. cit. , P. 34 ff.

(١٥) Wiseman, op. cit. , P. 3 .

(١٦) ibid. P. 7 , Pl 1

(١٧) ibid. P. 5.

(١٨) Howard, M. , « Technical descri-
ption of the ivory writing-boards
from Nimrud,» in : Iraq 17 (1955)
P. 14 - 20 .

(١٩) Walker , op. cit. , P. 23 .

(٢٠) ibid. P. 11 ; Kramer, S. N., «Die
sumerische Schule » , in : wisse-
nschaftliche Zeitschrift der
Martin-Luther - Universität ,

- text A, » in: ZA 64 (1975) , p. 137 — 176 ; Landsberger , B . , «Scribal concepts of education» in : C.N. Kraeling - R.M. Adams (edit.), City Invincible (a symposium on urbanization and cultural development in the ancient near east, december 1958, Chicago 1960, p. 100. Römer, op. cit., p. 98 — 102 . (٤١)
- الكور Kur وحدة سعة تساوي نحو ٣٠٠ ليترًا. (٤٢)
- الثقيل Sheqel : وحدة وزن تساوي نحو ٨٤ غ ، وكل ٦٠ ثقل تساوي مينة واحدة . (٤٣)
- المينة Mena : وحدة وزن تساوي نحو نصف كيلو غرام ، وكل ٦٠ مينة تساوي ثلث واحد . (٤٤)
- الثالث Talent : وحدة وزن تساوي نحو ٣٠ كغ . (٤٥)
- Waetzoldt, op. cit., p. 40 ff. (٤٦)
- Ibid., p. 41. (٤٧)
- Ibid., p. 42 ff. (٤٨)
- Walker, op. cit., p. 35. (٤٩)
- Waetzoldt, op cit . , p. 42. (٥٠)
- AHw 1395 b . طوبشارو (م) تعني «الكاتب على الطين» ، ويبدو أنه كانت هناك تسمية للكاتب على المعادن هي كبشارو AHw 418a , Kab / psarru (٥١)
- كتب النص باللغة السومرية على واحد وعشرين لوحا وكرة طينية وجدت في نيبور عدا واحدة مصدرها غير معروف. ويرقى تاريخه الى العصر البابلي القديم . ترجم النص ودرس من قبل العديد من الباحثين ، نذكر الذين اطلعنا على أبحاثهم :
- Falkenstein, A., « Der Sohn des Tafelhaus » , in : Die Welt des Orients 1 (1948) , p. 172 — 186; Kramer, Schooldays: a sumerian (٥٢)
- Kramer , « Die sumerische Schule , » p. 699 ; Waetzoldt , H , « Keilschrift und Schulen in Mesopotamien und Ebla » , in : **Erziehungs- und Unterrichtsmethoden** im historischen Wandel herausgegeben von L . Kriss — Rettenbeck und M. Liedtke, Bad Heilbrunn / OBB , 1986, p. 39. (٢٩)
- Walker, op. cit . , p. 33. (٣٠)
- Sjöberg, A.W., « The old Babylonien EDUBA , » p. 176 ff. (٣١)
- Kramer, « Shulgi of Ur : aroyal Hymn and a divine Blessin , » in The seventyfifth anniversary of the jewish quarterly review , Philadelphia, 1967, p. 371, 376. (٣٢)
- نيسابا Nisaba : إلهة سومرية كانت أصلا إلهة الحبوب ثم أصبحت إلهة فن الكتابة والاعداد والعلم والهندسة والتنجيم . في الألف الاول قبل الميلاد يظهر الإله الأكادي نابو Nisaba إله الكتابة والحكمة وحامي الكتاب وكانت ألواح القدر زوجا لها . كان رمزها كرمز نابو قلم الكتابة . وكان مركز عبادتها مدينة أوما ، ومركز عبادة نابو مدينة بارسيبا. انظر : (٣٣)
- Ebzard, Wörterbuch der Mythologie I, p. 106 ff., 115 ff. (٣٤)
- Kramer, « Shulgi of Ur , » p. 373. (٣٥)
- Waetzoldt, H., « Keilschrift und Schulen in Mesopotamien und Ebla , » p. 39. (٣٦)
- Ibid., p. 39-40 . (٣٧)
- Ibid., p. 41. (٣٨)
- Kramer , « Die sumerische Schule » , p. 697. (٣٩)
- Waetzoldt, H., op. cit., p. 40. (٤٠)
- Sjöberg, A. W., « Der Examaen-

Freydank, op. cit., p. 201 ;
Sjöberg, « The old Babylonian
EDUBA, » p. 160; Hunger, H.,
**Babylonische und Assyrische
Kolophone**, Neukirchen - Vluyn,
1968, p. 17 ; Walker, op. cit.,
p. 37.

Hunger, op. cit., p. 1 ff.

ربما تكون كلمة شاطر العربية بمعنى « حلق »
فهيم « تعود الى هذه الكلمة الاكادية التي
هي اسم فاعل من الفعل شطالو(م) = يكتب،
AHw 1203 b ff. ، ويقابله في العربية الفعل
سَطَّرَ ، يَسْطُرُ بمعنى كتب ، يكتب .
انظر : لسان العرب ، المجلد الرابع ص ٣٦٣
وما يليها .

Hunger, op. cit., p. 2.

Ibid. p. 9.

Deller, K., « Das Siegel des
Schreibers Assur - sumi- Asbat,
Sohn des Ribate », in: Baghdader
Mitteilungen 13 (1982) , p 143ff.

Hunger, op. cit., p. 26, Kolophon
14.

Ibid., p. 86, Kolophon 264.

Ibid., p. 87, Kolophon 271.

Ibid., p. 97, Kolophon 318.

اشور Ashshur اله الاشوريين الرئيس .
من القابه « الجبل الكبير » و « أب الالهة » .
انظر :

Edzard, **Wörterbuch der Mythologie I**, p. 43.

نن ليل Ninlil : الهه سومرية ويعني
اسمها « سيدة ، الريح » . وهي زوجة
إنليل كبير الالهة السومرية . وربما كانت
أساسا شكلا من أشكال عبادة الالهة الام .

Edzard, op. cit., p. 113

انظر : Tashmetu : زوجة نابو إله
تشميتو (٧١)
الحكمة والكتابة والكتاب . كانت تعبد معه في
مدينة بارسيبا مركز عبادته الرئيس ، انظر :

composition relating to the educa-
tion of a scribe, in : Journal of
the American Oriental Society
69 (1949) , p. 199 — 215 ; The
Sumerians, p. 237 ff.; Römer, op.
cit., p. 68 — 77 .

Sjöberg, « Der Vater nud sein
missratener Sohn, » in: JCS 25
(1973), p. 105 — 169 ; Römer ,
op. cit., p. 77—91 .

نانا Nanna : إله القمر عند السومريين ،
سماء الاكاديون سين Sin وكان مركز عبادته
الرئيس مدينة أور في جنوب بلاد الرافدين .
كذلك كانت حران في اعالي بلاد الرافدين من
مراكز عبادته المعروفة . انظر :

Edzard, **Wörterbuch der Mythologie I**, p. 101 ff.

نين جال Ningal : ويعني الاسم باللغة
السومرية « السيدة الكبيرة » ، وهي زوجة
نانا إله القمر السومري وسين الاكادي . وهي
أم اله الشمس . وصلت عبادتها في أواخر
الالف الثالث قبل الميلاد الى سورية حيث
عُرفت باسم نيكال Nikkal انظر :

Edzard, **Wörterbuch der Mythologie I**, p. 111.

Römer, « Aus einem Schulstreit-
gespräch in sumerischer Sprache, » in : UF 20 (1988) , p. 233—
245 ; Texte aus der Umwelt des
Alten Testaments III, Weisheit-
texte I, p. 91 - 98 .

Waetzoldt, « Keilschrift und
Schulen in Mesopotamien und
Ebla, » p. 42 ; Freydank, H.,
« Schreiber, Schule und Bildung
im alten Mesopotamien, » in :
Das Altertum 31 (1985), p. 198.

Landsberger. B., « Scribal con-
cepts of education, » p. 99.

Carden city - Newyork 1981 ,
p. 98; MEE 3 (1981), v. II 14.
Sjöberg , « The old Babylonian
EDUBA , » p. 177 and note 66;
Driver, **Semitic Writing from
Pictograph to Alphabet** p. 64-65
and note 1 p. 65 .

طوبشارا توم tupsarratu(m) : كتابة :
' AHw 1395 b

Dietrich, M., « Semiramis oder :
war die Frau im Alten Orient nur
Schön ? in : Schmitz , B . und
V . steffgen (Herausgcher) ,
Waren sie nur schön ? Frauen
im Spiegel der Jahrtausende ,
Mainz am Rhein 1989, p. 165 ff.

نيارو niaru : بردي . انظر :
Driver, op. cit., p. 16; Wiseman,
op. cit., p. 12: AHw 784 b; CAD
11 N II, 200 ff.

Wiseman, op. cit., p. 12 . (٨٦)
AHw 284 b; CAD 5 G, 86 ff. (٨٧)
Driver, op. cit., p. 75 ff. (٨٨)
Freydank, op. cit., p. 201. (٨٩)
Chiera, E., **They wrote on clay,**
Chicago 1938, p. 173 ff. (٩٠)
Driver, op. cit., P. 77. (٩١)
Ibid., p. 76 . (٩٢)

Edzard, op. cit., p. 106.
Hunger, op . cit., p. 97 — 98, (٧٢)
Kolophon 319 .
Sjöberg , « The old Babylonian
EDUBA , »p. 173. (٧٣)
Falkenstein, A., « Der Sohn des
Tafelhaus », p. 172. (٧٤)
ibid. (٧٥)
Walker, op. cit., p. 37. (٧٦)
Civil, M., « The early history of
HAR - ra : the Ebla link, » in :
Cagni (edit.), Ebla 1975 - 1985,
p. 131 . (٧٧)
Walker, op. cit., p. 25. (٧٨)
Ibid., p. 37. (٧٩)
Dandamayev, M.A., « Nadin, a
scribe of the Eanna tempel, » in:
AfO, Beiheft 19 (1982), p. 400ff.
Sack, R.H., « The scribe Nabû-
bâni - ahi, son of Ibnâ, and the
hierarchy of Eanna as seen in
Erech contracts , » in : ZA 67
(1977), p. 42 ff.; « The tempel
scribe in chaldean Uruk , » in :
Visible Language XV (1981), p.
409 ff. (٨١)
Wiseman, op. cit., p. 9. (٨٢)
Pettinato, G., **The Archives of
Ebla,an empire inscribed in clay,** (٨٣)

